

٢٠٠٤ - ١٤١٤ - ٥٥

# لم أكن موجوداً حينها

أني لم أحضر يوم أكتشف الانسان النار فقد وضعوني في مياه سخن بها. لم أكن لحظة اخترع الكهرباء لكن بعدما أخرجوني من أمي وجدت منزلِي مضاء بواسطتها. ولا يوم اللقاء القبلية الذرية على هيروشيمـا فأنا أخاف منها. ولا يوم هبوط الانسان الى القمر.

إذن على هذه الارض المكونة من خمس قارات وخمسة محيطات وعدد من الجزر والبحيرات الصناعية والطبيعية، وبين أنسـلـسـ تـشـكـلـواـ منـذـ عشرات الاف السنين بشـراـ مـخـتـلـفـ عـلـىـ أـصـلـهـمـ. أصبحـتـ «ـأـنـاـ»ـ مـتـحـمـلاـ وـمـهـمـومـ بـكـلـ مـاـ صـنـعـهـ الانـسـانـ وـالـطـبـيـعـةـ عـلـىـ هـذـهـ الـأـرـضـ. ومنـذـ فـتـرـةـ قـصـيـرـةـ أـصـبـعـ عـنـدـيـ شـعـورـ بـأـنـ كـلـ أـصـدـقـائـيـ وـالـنـاسـ الـتـيـ أـعـرـفـهـاـ مـتـحـمـلـةـ وـمـهـمـومـةـ مـثـلـ بـرـغـ غـيـابـهـاـ الـبـدـيـ. فـهـلـ نـحنـ مـسـؤـولـونـ عـنـ كـلـ مـاـ حـصـلـ فـيـ التـارـيـخـ؟

حسـنـ يـعقوـبـ

بناء جدار برلين. غالباً أنا لم أحضر شيئاً. لم أحضر موت انسان جوغاً فكيف يتخلص لحمي حتى يتلاشى ويلتصق الجلد بالعظم، وأنتهي دون أن أكون قادرًا على الشعور بالموت.

أنا لم أحضر موت انسان في المعطلات. فكيف تصفعني أسلاك الكهرباء المتسلية من السماء؟ أو تذيبني المواد الكيميائية حتى أتعفن في غرفتي اللعنة؟ لم أحضر حرباً ولا مؤامرة، ولا اغتيالاً. ولا مفاوضات، ولا انقلاباً سكريباً ولا مجذرة جماعية ولا سقوط طاغية ولا عملية تجسس مثيرة. ولا سرقة ولا رشوة، باختصار.. أنا لم أكن حاضراً عندما في هذا الكون.

لكن على الرغم من هذا الغياب الأبدى حضرت أمي ذات يوم الى المستشفى وولدتني. وأصبحت رقاً في هذه الحياة. وكان ذلك بعد انسحاب جيش اسرائيل من بيروت بعامين. قبل ستة عشر عاماً من انسحابها نهاياً من لبنان. ومع

نسبـيـ يـنـتـهـيـ إـلـىـ آـدـمـ عـلـىـهـ السـلـامـ، أـوـ إـلـىـ الشـجـرـةـ الـتـنـبـيـةـ بـقـرـودـ أـفـرـيـقـيـاـ.ـ هـذـاـ لـاـ يـهـمـ،ـ الـهـمـ أـنـيـ لـمـ أـكـنـ جـادـاتـيـ نـالـ مـنـهـاـ ذـكـورـ تـيمـورـ لـاتـكـ فيـ حـملـتـهـ.ـ وـكـانـ جـديـ رـجـلـ يـعـشـ السـهـوـلـ.ـ تـمـرـ علىـ جـسـدـهـ أـحـذـيـةـ الـوـلـاـ وـالـبـاشـوـاتـ وـالـعـسـكـرـ وـالـقـاطـعـيـنـ.

أـنـالـمـ أـكـنـ طـفـلاـ يـحـبـوـ عـنـدـمـاـ قـامـتـ الـحـربـ الـعـالـمـيـةـ الـأـوـلـىـ،ـ وـلـافـتـيـ عـنـدـ الثـانـيـةـ.ـ لـمـ أـكـنـ حـاضـرـاـ عـنـدـمـاـ تـنـاـولـ الصـهـيـونـيـوـنـ فـلـسـطـيـنـيـوـنـ بـرـيـطـانـيـاـ وـالـأـمـمـ الـمـتـحـدـةـ.ـ وـلـاـ كـنـتـ جـنـديـاـ فـيـ الـجـيـشـ الـعـرـبـيـ الـمـهـزـوـمـ.ـ لـمـ أـكـنـ حـاضـرـاـ عـنـدـمـاـ مـزـقـ الرـصـاصـ جـسـدـ جـوـنـ كـنـديـ وـسـلـفـادـورـ الـلـيـنـدـيـ.ـ لـمـ أـكـنـ حـاضـرـاـ عـنـدـمـاـ اـجـتـمـعـ بـرـيـجـيـنـيفـ وـنـكـسـونـ فـيـ فـلـادـيـفـوـسـتـوـكـ،ـ وـلـاـ عـنـدـمـاـ اـفـرـقـاـ فـيـ بـكـينـ.ـ لـمـ أـكـنـ حـاضـرـاـ عـنـدـمـاـ قـامـتـ الـثـورـةـ الـبـلـشـفيـةـ.ـ وـلـاـ عـنـدـمـاـ أـعـلـنـ مـاـ الـثـورـةـ الـثـقـافـيـةـ.ـ لـمـ أـكـنـ تـرـوـتـسـكـيـاـ وـلـاـ سـتـالـينـيـاـ.ـ وـلـمـ أـكـنـ حـاضـرـاـ عـنـدـ